بسم الله الرحمن الرحيم

الفقه الإسلامي والعلوم البحتة

Islamic doctrine and pure sciences

Doctrine musulmane et sciences exactes

الدكتور عبد الرحيم غازي

Fikhossoul.com

أستاذ التعليم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله . فاس

المملكة المغربية

المقدمة:

الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية؛ وهو كذلك مجموع هذه الأحكام.

كما يفرع الفقه الإسلامي إجمالا إلى قسمين كبيرين: عبادات ومعاملات. وهو على شيء من التفصيل: عبادات، عادات، مناكحات، معاملات وجنايات.

وتصنف العلوم عموما إلى علوم إنسانية وعلوم بحتة: فالعلوم الإنسانية أو الإجتماعية نسبية كالأدب وعلم النفس... بيد أن العلوم البحتة قطعية كالطب والبيولوجيا...

ومصدر العلوم الإنسانية والعلوم البحتة العقل. كما يمكن – في تقديري – إضافة قسم آخر لتصنيف العلوم بعنوان العلوم الدينية أو الإسلامية ومصدرها النقل أي الوحي؛ فضلا عن صنف آخر فريد هو العلم اللدني كالذي خص به الله تعالى عبده " الخضر"...

وقد أثير في الفكر الإسلامي قديما تساؤل منهجي مفاده: هل النقل مقدم على العقل أم العكس؟

وحسم ابن رشد هذا الجدل العقلي بعبارته المشهورة: " الحكمة أخت الشريعة ورضيعتها".

وبناء على ما سبق سأحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما هو موقف العلوم البحتة من المسائل الفقهية المقررة شرعا؟ ما علاقة الفقه الإسلامي بالعلوم البحتة؟ وهل هناك تنافر وتناقض بينهما، أم على العكس هناك تناغم وتكامل بينهما؟

لمقاربة هاته الإشكاليات سأتناول الموضوع بتركيز من خلال الأبواب الفقهية ومواجهتها بالحقائق العلمية المقررة من العلوم البحتة.

من باب الطهارة، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .[1]

بين الله تعالى أحكام الوضوء والغسل فقال: إذا أردتم أيها المؤمنون القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون، فاغسلوا بالماء الطاهر وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا رؤوسكم، واغسلوا أقدامكم إلى الكعبين. وإذا كنتم محدثين حدثا أكبر فتطهروا بغسل جميع البدن[2].

والطهارة بالجملة لها صورتان: صورة تعبدية، وصورة من صور الطب الوقائي. [3]

فإذا كانت الطهارة واجبة عند كل صلاة علمنا أنها تقي العيون من إصابتها بالرمد، لأن العين تغسل بالماء النظيف عدة مرات في اليوم، كذلك فإن غسل المنخرين بماء بارد من أهم أسباب الوقاية من الزكام المتكرر...

---

[1] - المائدة/6

[2] - روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن 598/1 محمد علي الصابوني، طبعة 1421 - 2001 ، دار الفكر ، بيروت.

[3] - ar.rasekhoon.net

وفوائد غسل الوجه والأذنين والأيدي ظاهرة لكثرة ما يصيب الوجه والأجزاء الظاهرة من الأمراض الجلدية والالتهابات[1]...

والنجاسة محرمة، قال النبي ﷺ : "إذا ولغ الكلب[2] في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن بالتراب"[3].

جاء في مجلة "كوس موس" الألمانية بعنوان "الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها: "... إن الكلاب تصاب بدودة شريطية تتعداها إلى الإنسان وتصيبه بمرض عضال..." [4].

وهذا ما أكده بحث علمي بعنوان "الإعجاز العلمي في حديث ولوغ الكلب في الإناء"[5].

وبخصوص الحيض، قال الله تعالى : ﴿وَ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذىً فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِۖ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[6].

وقد اختلف الفقهاء في أقل الحيض وأكثره... "والأقاويل كلها . يقول ابن رشد . لا مستند لها إلا التجربة والعادة"[7].

وأفادت الآية الكريمة كذلك وجوب اعتزال المرأة في المحيض حتى تطهر لأنه أذى:

فإذا فحصنا دم الحيض تحت المجهر– يقول الدكتور محمد علي البار – نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعا من الغشاء المبطن للرحم . إذ إن الغشاء المبطن للرحم يقذف بأكمله أثناء الحيض، ويكون الرحم متقرحا لذلك، ومعرضا بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح... ومن المعلوم طبيا أن الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها.

---

[1] - روح الدين الإسلامي/449، عفيف عبد الفتاح طباره، الطبعة الثالثة والثلاثون، ماي 2003، دار العلم للملايين ، بيروت.
[2] - ولغ : شرب بطرف لسانه، مختار القاموس مادة ولغ.
[3] - البخاري /169
[4] - روح الدين الإسلامي /463
[5] - iijazforum.org
[6] - البقرة /222
[7] - بداية المجتهد 36/1

ومما يساعد على انتشار الميكروبات أنه قد يكون على جلد عضو الرجل ميكروبات عديدة، ولكن الاتصال الجنسي في غير أيام الحيض يكون سليما إذ أن المواد المطهرة والإفراز الحامض للمهبل يقتلها أثناء الطهر من الحيض. أما أثناء الحيض فأجهزة الدفاع مشلولة، والميكروبات متوفرة فتنتقل إلى جميع الجهاز التناسلي عند المرأة، وتسبب لها كثيرا من الآلام والمضاعفات المرضية التي قد تؤدي إلى العقم.

كما أن الميكروبات تنتقل إلى الرجل عن طريق قناته البولية والمثانة والحالبين والبروستات والحويصلتين المنويتين[1]...

واختلف الفقهاء في أقصى مدة الحمل حيث ذهب ابن حزم إلى أن أقصى مدة الحمل تسعة أشهر لا أكثر. بيد أن فريقا من الفقهاء يقول بأن الحمل قد يمتد إلى سنتين أو أربع سنوات أو خمس أو حتى سبع سنوات استنادا للواقع الذي عاشوه من خلال وجود نساء يحسبن أنهن حوامل، مع ما علموه من قصد الشريعة إلى الستر على الأعراض، والتضييق ما أمكن على احتمال التهمة بالزنا[2].

وقد قرر المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي في دورته 21 المنعقدة في مكة في موضوع: مدة الحمل، وقرر أنه بعد الاستعانة بالأبحاث الطبية والعلمية أن مدة الحمل لا تتجاوز تسعة أشهر، لأن الطب الحديث المتعلق بالحمل عبر التحاليل المخبرية والتصوير بالموجات فوق الصوتية وغيرهما، أكد على أنه لم يثبت أن واصلَ الحياةَ حملٌ داخل الرحم لأكثر من تسعة أشهر، إلا أسابيع قليلة.

لكن نظرا لاحتمال الخطأ في حساب الحمل قرر المجمع جعل مدة الحمل سنة واحدة[3]..

---

[1] - روح الدين الإسلامي /462 وانظر كذلك altibbi.com

[2] - الحقيقة العلمية وأثرها في الترجيح بين أقوال الفقهاء/ 50 الدكتور عبد الفتاح محفوظ مجلة رواء، العدد 12 سنة 1443-2021.

[3] - iifi-aifi.org

ومن الأبحاث الطبية التي أجريت بخصوص هذا الموضوع أطروحة الدكتورة عائشة فضلي التي درست فيها مائة حالة ولادة، حيث وجدت أن مدد الحمل، اعتبارا من بداية آخر حيضة قبل الحمل تتراوح بين أمد أدنى هو مائتان وخمسون يوما (أي ثمانية أشهر وعشر أيام)؛ وأمد أقصى هو ثلاثمائة وعشرة أيام (أي عشرة أشهر وعشر أيام)، ومتوسط المدد هو (281،43 يوما) أي تسعة أشهر وأحد عشر يوما ونصف يوم.

واعتمدت هذه الدراسة بدورها على دراسات أخرى أكثر دقة وشمولية ومن أهمها دراسة كان فيها متوسط الحمل مائتان وستة وستون يوما (تسعة أشهر إلا أربعة أيام)، وكانت أقصى مدة حمل فيها عشرة أشهر.

ويرى الدكتور أحمد ترعاني - أخصائي الأمراض النسائية والتوليد - أن الحمل قد يصل إلى عشرة أشهر، ولا يزيد على ذلك: لأن المشيمة التي تغذي الجنين تصاب بالشيخوخة بعد الشهر التاسع، وتقل كمية الأكسجين والغذاء المارين من المشيمة إلى الجنين فيموت الجنين. [1].

فهل يمكن أن يقع الحمل مرتين؟

ذكر ابن رشد أنه يمكن أن يكون حمل على حمل إذا كانت قوة المرأة وافرة والجنين صغيرا، على ما حاكاه أبقراط[2] وجالينوس[3] وسائر الأطباء[4].

فهل يمكن حدوث حمل إضافي عند المرأة الحامل علميا؟

يبدو سؤالا غريبا بعض الشيء، لكن الجواب هو " نعم"!

---

[1] ـ معدل الحمل العادي/56 ، الدكتورة عائشة فضلي، رسالة دكتوراه بكلية الطب بالرباط سنة 1985، المغرب.

[2] ـ من أبرز الشخصيات في تاريخ الطب عبر التاريخ، ولقبه " أبو الطب" لدى العرب اعترافا بإسهاماته في المجال الطبي، توفي حوالي 370 قبل الميلاد... ar.wikipedia.org

[3] ـ أكبر أطباء اليونان وأحد أعظم أطباء العصور القديمة، وأحد من وضع أسس الطب الحديث، توفي سنة 216 ميلادية. Ar.wikipedia.org

[4] ـ بداية المجتهد 38/1.

فعادة يتوقف مبيض المرأة الحامل مؤقتا عن إطلاق البويضات، ولكن في ظاهرة نادرة وهي الحمل الإضافي يتم إطلاق بويضة أخرى، ويتم تخصيبها بالحيوانات المنوية وتلتصق بجدار الرحم مما يؤدي إلى إنجاب طفلين[1].

ومن باب الصلاة، كيف يتم تحديد القبلة لأنه من شروط صحة الصلاة؟

قال الله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2].

ومعنى الآية : فول وجهك جهة المسجد الحرام أي جهة الكعبة... لأن الناس من عهد النبي ﷺ بنوا المساجد ولم يحضروا مهندسا عند تسوية المحراب؛ ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق نظر الهندسة، ولم يقل أحد من العلماء أن تعلم الدلائل الهندسية واجب[3].

وقال ابن رشد: والذي أقوله إنه لو كان واجبا قصد العين لكان حرجا، وقد قال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[4]. فإن إصابة العين شيء لا يدرك إلا بتقريب وتسامح بطريق الهندسة واستعمال الأرصاد في ذلك. فكيف بغير ذلك من طرق الاجتهاد، ونحن لم نكلف الاجتهاد فيه بطريق الهندسة المبني على الأرصاد المستنبط منها طول البلاد وعرضها. [5]

ومن أحكام الميت بباب الصلاة قال ابن رشد:

... فإذا قضى الميت يستحب تعجيل دفنه لورود الآثار بذلك؛ إلا الغريق، فإنه يستحب في المذهب تأخير دفنه مخافة أن يكون الماء قد غمره فلم تتبين حياته...

---

[1] - shifaa.ma
[2] - البقرة/144
[3] - روائع البيان 177/1 و129
[4] - الحج/78
[5] - بداية المجتهد 80/1

وإذا قيل هذا في الغريق فهو أولى في كثير من المرضى مثل الذين يصيبهم انطباق العروق[1] وغير ذلك مما هو معروف عند الأطباء حتى لقد قال الأطباء إن المسكوتين[2] لا ينبغي أن يدفنوا إلا بعد ذلك"[3].

ومن باب الصيام، ما هي فوائد الصوم الصحية؟ قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[4].

يقول الدكتور مصطفى الحفار:

"أكد البحث العلمي الحديث على منافع الصوم، ففي فرنسا مراكز مُخصصة لدراسة أمراض التغذية والعلاج لها، وقد تبنت لمرضاها الصيام الكامل الدوري وسمته العلاج الرمضاني بعدما تأكد لها جدوى هذه الطريقة من الصيام وفوائدها على أعضاء الجسم كلها..." [5]

وبخصوص استخدام الحق العلاجية أثناء الصوم جاء في قرار "لمجلس مجمع الفقه الإسلامي" التابع لمنظمة التعاون الإسلامي: " إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره العاشر بجدة بالمملكة العربية السعودية... بعد اطلاعه على البحوث المقدمة في موضوع المفطرات في مجال التداوي، والدراسات والبحوث والتوصيات الصادرة عن الندوة الفقهية الطبية التاسعة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع المجمع وجهات أخرى في الدار البيضاء بالمملكة المغربية في الفترة من 9-12 صفر 1418هـ الموافق 14-17 يونيو

---

[1] - أي انسدادها Books.google.co.ma
[2] - المسكوتون أي المصابون بالسكتة almaany.com
[3] - بداية المجتهد 164/1
[4] - البقرة /184
[5] - روح الدين الإسلامي/457 وانظر كذلك arabicpost.net

1997م، واستماعه للمناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة الفقهاء والأطباء، والنظر في الأدلة من الكتاب والسنة وفي كلام الفقهاء، قرر ما يلي:

أولا: " الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات، وذكر ضمنها: "الحقن العلاجية الجلدية أو العضلية أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية"[1].

غير أن سؤالا ملحا يطرح نفسه بإلحاح: وما يدرينا أنها مغذية أم لا، وهذا –على كل حال– حرج، والحرج مرفوع في الشريعة، كما أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه!؟.

ومن باب النكاح، الزنا محرم لقول الله تعالى:

ٱلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ ٱلزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاَّ زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ﴾[2].

حرم الله تعالى الزنا لما فيه من أضرار جسيمة ومفاسد عظيمة.

فمن أضرار الزنا من الناحية الطبية مرض الزهري والسيلان والسيدا... [3]

والرضاع مندوب لقول الله تعالى: **﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ أَنْ يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾**[4].[5]

فقد حث الله تعالى على إرضاع الأبناء، وحدد مدة الرضاع بعامين كاملين، لأن هذه المدة يستغني بها الطفل عن ثدي أمه... فليس هناك لبن يعادل لبن الأم، فهو أفضل غذاء باتفاق الأطباء[6]:

---

[1] - الحقيقة العلمية وأثرها في الترجيح بين أقوال الفقهاء /54 الدكتور عبد الفتاح محفوظ، مجلة " رواء" العدد 12 جمادى الأولى 1443هـ - يسمبر 2021م.

[2] - النور/3

[3] - روح الدين الإسلامي /462 وانظر كذلك altibbi.com

[4] - البقرة/ 233

[5] - روائع البيان 377/1

[6] - روائع البيان 389/1

فتساعد الرضاعة الطبيعية على النمو السليم للرضيع، وتقوي مناعته؛ وتحميه من الأمراض مثل الإصابة بالتهابات الأذن ومن الإسهال... كما تقلل بالنسبة للمرضع من خطر الإصابة بسرطان الثدي والمبيض... [1]

وفي شأن المحرمات من النساء، قال الله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾[2]

... ففضلا على أنه من غير المقبول بالفطرة ولا يستقيم في العقل أن يتزوج المرء المحرمات المذكورة؛ فمن حكم تحريم زواج الأقارب أنه يكون سببا في ضعف النسل...

وهو ما أشار إليه الإمام الغزالي في كتابه "الإحياء" حيث قال: إن من الخصال التي تطلب مراعاتها في المرأة أن لا تكون من القرابة القريبة، فإن الولد يُخْلَقُ ضاويا[3]، وهو تعليل دقيق أقره العلم الحديث[4].

---

[1] - altibbi.com - hiamag.com

[2] - النساء /24

[3] - الضوى: دقة العظم وقلة الجسم خلقة، أو الهزال. مختار القاموس، مادة ضوى

[4] - روائع البيان 512/1 وانظر كذلك : ar.wikipedia.org

وبخصوص مشروعية عدة الوفاة، قال الله تعالى: ﴿وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [1].

فالحكمة من تحديد عدة الوفاة بأربعة أشهر وعشرة أيام معرفة براءة الرحم، والجنين يتكون في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم أربعين يوما علقة، ثم أربعين يوما مضغة؛ كما دل على ذلك الحديث الصريح الصحيح. فهذه مائة وعشرون يوما، ثم تنفخ فيه الروح بعد هذه المدة؛ فزيدت العشر لذلك[2].

وبباب الأطعمة والأشربة الطيبات حلال كالعسل، لقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .[3]

فتناول العسل مباح وفيه شفاء، وهذه معجزة أثبتها الطب؛ فالعسل يحتوي على كثير من الفيتامينات التي لها دور فعال في صحة الجسم بما توفره من نشاط وقوة وحيوية ووقاية من بعض الأمراض... كما أن العسل يحتوي على كثير من الخمائر، والأحماض العضوية والأملاح المعدنية و الأحماض الأمينية التي هي غزيرة الفائدة للإنسان.

وللعسل دور فعال ضد أمراض الجهاز التنفسي، وفقر الدم، وأمراض القلب، وأمراض الكلى، والنزلات الشعبية، وأمراض الهضم... [4]

---

[1] - البقرة /234

[2] - روائع البيان 396/1 وانظر كذلك iijazforum.org

[3] - النحل /68

[4] - روح الدين الإسلامي /459، وجوه الإعجاز القرآني /178 مصطفى الدباغ، الطبعة الثانية سنة 1405 -1985، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، وانظر كذلك : ar.wikipedia.org , altibbi.com

والخبائث حرام، كالميتة والدم ولحم الخنزير لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنُ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلآَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

بين الله تعالى ما حرم على المؤمنين من الخبائث المستكرهة، التي تنفر منها الطباع السليمة، أو مما فيه ضرر واضح للبدن، حيث ذكر الله تعالى أنه إنما حرم عليهم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وسائر الخبائث[2].

وتظهر الحكمة من تحريم الميتة لما فيها من الضرر، لأنها إما أن تكون ماتت لمرض وعلة قد أفسد بدنها وجعلها غير صالحة للبقاء والحياة، وإما أن يكون الموت لسبب طارئ.

فأما الأولى: فقد خبث لحمها وتلوث بجراثيم المرض، فيخشى من عدواها، ونقل مرضها إلى الآكلين. وأما الثانية: فلأن الموت الفجائي يقتضي بقاء المواد الضارة في جسمها. وأما الدم المسفوح فلقذارته وضرره أيضا.

وقد أثبت الطب الحديث أن الدم ضار كالميتة وأنه تتجمع فيه الميكروبات والمواد الضارة.

وأما لحم الخنزير: فلأن غذاءه من القاذورات، والنجاسات، ولأن فيه ضررا؛ فقد اكتشف الأطباء أن لحم الخنزير يحمل جراثيم شديدة الفتك... [3].

ومن الأشربة المحرمة الخمر، لقوله الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالاَنصَابُ وَالاَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

---

[1] - البقرة /173

[2] - روائع البيان 165/1

[3] - روائع البيان 176/1، الإسلام يتحدى /151 ، وحيد الدين خان، تعريب ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الرابعة 1403 - 1983، دار البحوث العلمية، وانظر كذلك ar.wikipedia.org

تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

فالخمور وما تحتويه من كحول تفتك بالجسم مرورا بالمرئ والمعدة مما يسبب فيهما الإصابات السرطانية. والكبد هو العضو الأساسي المعرض لأضرار المواد الكحولية، ولما كان الكبد يؤلف "مصنعا" فائق الأهمية لصياغة العناصر الأولية للجسم من مركبات آزوتية ودهنية وسكرية وخمائر ضرورية للهضم، وعناصر أساسية لتوازن الدم... علمنا ما ستكون ردود فعل كل قصور وظائفي لهذا العضو الفريد من نوعه. فالمواد الكحولية تسبب للكبد التهابات وتمزيقا لخلاياه، وتجمعا للدهنيات في ما تبقى منها، ثم تحجرا مع تليف يصل بالكبد إلى مرحلة التشمع التي لا شفاء منها، مع ما تحققه من عوارض مرضية تنذر بأشد المضاعفات عنفا وخطرا... منها الاستسقاء[2] والتورم المنتشر في الجسم، واليرقان، وسيلان الدم، وارتفاع الضغط في الشريان الكبدي...

ومن المعروف علميا أن نسبة السرطان الكبدي في حالة تشمع الكبد مرتفعة جدا، والكحول تترك أثرها السيء على كثير من الأعضاء الأساسية:

فغدة البنكرياس تتحجر بدورها أيضا، كما تصيب الأمعاء والمستقيم بنزيف شرجي، وتحقنات في أسفل الأمعاء الغليظة... [3]

وبباب الطب والطاعون، يجب الاحتراز من المجذوم؛ كما يجب عدم دخول أرض نزل بها الطاعون، وكذا عدم الخروج منها في حالة الوباء[4]...

---

[1] - المائدة /91

[2] - الاستسقاء (Edema) هو احتباس السوائل في الجسم أو بقاء الماء في الخلايا مما يؤدي إلى التورم Ae.wikipedia.org

[3] - روح الدين الإسلامي/455 ، روائع البيان 303/1، وانظر كذلك: atibbi.com

[4] - تدبير الأزمات والطوارئ في الفقه الإسلامي / الدكتور عبد الرحيم غازي، بحث منشور بالموقع الدولي للدراسات الفقهية والأصولية FIKHOSSOUL.com

قال النبي ﷺ :" فر من المجذوم فرارك من الأسد"[1] و"إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا نزل وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها"[2].

وبناء عليه، فرض في الفقه الإسلامي الحجر الصحي منذ ما يزيد عن 14 قرنا، كما أوجب الحجر على الحيوان حيث يقول النبي ﷺ : " لا يُوَرِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ"[3]. كما أوجب التعجيل بدفن الموتى لسرعة تعفن الجثث ومنعا لانتشار الأمراض والأوبئة بين الأصحاء[4].

الخاتمة:

يتطرق الفقه الإسلامي لكل مجالات الحياة، أي ما يتعلق إجمالا بالعبادات والمعاملات.

وهو ما يتناوله الفقه الوضعي في إطار القانون العام والخاص باستثناء جانب العبادات.

هذا، ويمكن تصنيف العلوم إلى علوم إنسانية وعلوم بحتة، ومصدرها العقل؛ وعلوم إسلامية ومصدرها النقل أي الوحي. وقد تقرر في الفكر الإسلامي أن النقل والعقل توأمان متكاملان، ووجهان لعملة واحدة.

وقد عالج الفقه الإسلامي قضايا علمية عملية عديدة تتعلق بالميكروبيولوجيا، وطب النساء والتوليد، وعلم الأغذية والأوبئة...

وهذا دون احتساب تعرضه لقضايا علمية بحتة كالفلك والجيولوجيا... تكفل علم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ببيان دلائلها... وقد أثبت الفقه الإسلامي سبقه في تقرير الأحكام الشرعية العملية، قبل أن تؤكد العلوم الحقة ذلك...

وستبقى قضايا أخرى تحتاج إلى برهنة علمية سيكشف عنها البحث العلمي استقبالا...

---

[1] - البخاري /5707

[2] - البخاري 5728 ومسلم /2218

[3] - البخاري /5771

[4] - روح الدين الإسلامي/461 ، الطب النبوي والعلم الحديث/381 تأليف الطبيب الدكتور محمود ناظم النسيمي ، الطبعة الثانية 1407-1987 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

ولا يعني هذا أن الفقه الإسلامي يتجاوز اختصاصه العلمي المتمثل في معرفة فعل المكلف من حيث ما يثبت له من الأحكام الشرعية، أي الحلال والحرام والصحة والبطلان؛ إلى الخوض في قضايا هي من اختصاص العلوم الحقة.

وهذا يؤكد حقيقة لا غبار عليها وهي الإعجاز العلمي للفقه الإسلامي بدليل السبق وعدم ثبوت الخطإ والتناقض فيما يقرره من الأحكام، وأن مصدر النقل والعقل واحد؛ كما أن النقل أسبق من العقل.

فهل يمكن في إطار الفقه الإسلامي والعلوم البحتة الكشف عن أوجه أخرى لهذا السبق والانسجام والإعجاز؟

فاس . مكناس

5 مارس 2024 الموافق 24 شعبان 1445

البيبليوغرافيا

- الإسلام يتحدى (مدخل علمي إلى الإيمان)

تأليف وحيد الدين خان، تعريب ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الرابعة 1403 . 1983 ، دار البحوث العلمية.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد

ابن رشد الحفيد (المتوفى سنة 595هـ)، دار الفكر .

- الحقيقة العلمية وأثرها في الترجيح بين أقوال الفقهاء

الدكتور عبد الفتاح محفوظ ، مجلة رواء، العدد 12 سنة 1443 – 2021.

- روح الدين الإسلامي

عفيف عبد الفتاح طباره ، الطبعة الثالثة والثلاون، ماي 203، دار العلم للملايين، بيروت.

- روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن

محمد علي الصابوني ، طبعة 1421 – 2001 ، دار الفكر ، بيروت.

- الطب النبوي والعلم الحديث

تأليف الطبيب الدكتور محمود ناظم النسيمي، الطبعة الثانية 1407 –1987، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- مختار القاموس

الطاهر أحمد الزاوي ، طبعة 1980، الدار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس.

- معدل الحمل العادي

الدكتورة عائشة فضلي، رسالة دكتوراه بكلية الطب بالرباط سنة 1985 ، المغرب

- وجوه من الإعجاز القرآني

مصطفى الدباغ، الطبعة الثانية سنة 1405 . 1985، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

- Ar.rasekhoom.net
- Altibbi.com
- Ar.wikipedia.org
- Almaany.com
- Arabicpost.net
- FIKHOSSOUL.com
- Hiamag.com
- lijazforum.org
- lifi.aifi.org
- Quran-m.com
- Shifaa.ma
- Webteb.com